HNSJ Humanitarian & Natural Sciences Journal
ISSN: (e) 2709-0833
www.hnjournal.net
مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية
مجلة علمية محكمة (التصنيف: NSP)
معامل التأثير العربي للعام 2020 = 0.44

عنوان البحث

التصوف والعقيدة: محاور الصدام (إقليم شنقيط ما بين القرن السابع عشر ونهاية القرن التاسع عشر نموذجا)

المختار/ أحمد الأمين[1]

[1] أستاذ مدرس مادة العقيدة، والفكر، والفرق الإسلامية بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، موريتانيا

تاريخ النشر: 2021/07/01م تاريخ القبول: 2021/06/21م

المستخلص

يهدف هذا العمل إلى الكشف عن العناصر الحاضرة في الخطاب الصوفي وممارسات أهله التي تفضي إلى التصادم مع العقيدة الإسلامية على مستوى الأقوال والأعمال.

وهذا اقتضى ذلك منا مداخل تاريخية حول نشأة التصوف وطرقه ومصادره، ورصدنا أهم المؤثرات الدينية والفلسفية التي ساهمت في تشكل هذا الخطاب وانبناء أسسه النظرية.

وتطلبت من هذه الحفريات في تاريخ التصوف وتشعباته أن نتوقف عند خصوصية مساره في الغرب الإسلامي ومصطلح الزاوية ووظيفة شيخها، قبل أن نتتبع ظواهره في الإقليم الشنقيطي من باب التمثيل والتوضيح.

الكلمات المفتاحية: التصوف – الطرق – الزوايا – الشيخ

RESEARCH ARTICLE

SUFISM AND CREED: AXES OF CONFLICT (CHINGUETTI PROVINCE BETWEEN THE SEVENTEENTH CENTURY AND THE END OF THE NINETEENTH CENTURY AS AN EXAMPLE)

Elmoctar/Ahmed Elemin[1]

[1] Higher Institute of Islamic Studies and Research, Mauritania

Published at 01/07/2021 **Accepted at 21/06/2021**

Abstract

This work aims to reveal the present elements in the Sufi discourse and the practices of its people that lead to a clash with the Islamic faith at the level of words and deeds.

This necessitated from us historical entries on the emergence of Sufism, its methods and sources, and we monitored the most important religious and philosophical influences that contributed to the formation of this discourse and the building of its theoretical foundations.

These excavations in the history of Sufism and its ramifications required us to stop at the specifics of its path in the Islamic West, the term zawiya and the function of its sheikh, before we trace its phenomena in the Shanqeeti region as a matter of representation and clarification.

Key Words: Sufism - paths - angles - Sheikh

مقدمة تاريخية[1]

نسعى من خلال ها المدخل إلى إنارة الفضاء الي سيتحرك فيه البحث لاحقا، بكل معطياته الاجتماعية والتاريخية والثقافية. بادئين بمصادرة جيو–ثقافية تعتبر الإقليم الشنقيطي جزءا عضويا من العالم العربي الإسلامي، وامتداد حضاريا وطبيعيا لبلاد الغرب الإسلامي، وقد حمل عدة أسماء دالة في أبعادها السياسية والثقافية والجغرافية مثل بلاد المنكب القصي إشارة إلى بعده عن مركز العالم الإسلامي، وبلاد الملثمين إحالة على قبائل الصحراء اللمتونة وكدالة التي كانت تعيش على الترحال جنوب المغرب الأقصى بعيدا عن حاكمية الدول المغاربية، ومن ذلك أيضا تسمية البلاد السائبة التي تشدد على غياب السلطة المركزية الناظمة لأحوال الإقليم، وعوض عن ذلك مجموعة من الإمارات والكتل القبلية المستقلة، لقد عرف هذا الإقليم بأهم حاضرة ثقافية وعلمية تأسست فيه، وهي مدينة شنقيط، وبها حمل سكان الإقليم لقب الشناقطة.

ورغم هذه الفوضى السياسية السائدة والحياة البدوية المفتوحة إلى أبعد حد، فقد كانت هناك ضوابط دينية وسلطوية واقتصادية أرستها دولة المرابطين، فقد ترك المرابطون في هذا الإقليم الصحراوي مجتمعا يتمتع ببنية وظيفية فريدة، يتوزع بحسبها إلى فئة تخصصت في حمل السلاح لتوفير الأمن والحماية لسكان الإقليم، وطائفة أخرى كرست نفسها لنشر العلم وتدريسه، أما الفئة الثالثة فقد اعتنت بالناحية الاقتصادية القائمة أساسا على تنمية المواشي.

وفي مجال العلاقات الخارجية فقد أسس الشناقطة شبكة علاقات واسعة مع محيطهم المغاربي والإسلامي عبر رحلات الحج وطلب العلم وإحضار المكتبات لـ"محاظر" الإقليم، فقد كانت هذه المحاظر جامعات متكاملة متنقلة تدرس فيها مختلف فنون المعرفة المتداولة آنذاك في العالم الإسلامي، كعلوم الفقه واللغة والأدب والعقيدة وأصول المعارف المختلفة، إلا أن الشناقطة بالغوا في التعمق على صعيد هذه العلوم، مما أكسب معرفتهم صفة الموسوعية والتفرد، وهو ما جعل أحد علمائهم وشعرائهم مختار بن بون ينوه بهذه الميزة العلمية البارزة:

ونحن ركب من الأشراف منتظم أجل ذا الخلق قدرا دون أدنانا

قد اتخذنا ظهور العيس مدرسة بها نبيــن دين الله تبيــانا ...

ومن كل ما سبق، يمكن القول إن بلاد شنقيط خصوصا في نهاية القرن السابع عشر إلى بداية القرن العشرين كانت تقدم مرآة معرفية مصغرة لمحيطها العربي الإسلامي خصوصا بلاد الغرب الإسلامي، زاخرة بالسجالات العقائدية، وتنتشر فيها كل الاتجاهات الصوفية السائدة آنذان من قادرية وشاذلية وتيجانية ..الخ.

---

[1] عدنا في تحرير هذا المدخل التاريخي إلى المراجع التالية:

- ابن الأمين الشنقيطي، أحمد: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، الشركة الدولية للطباعة، ط6 2008؛
- ابن حامدن، المختار: حياة موريتانيا، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 2009؛
- النحوي، الخليل: بلاد شنقيط المنارة والرباط تونس 1987
- المامي، الشيخ محمد: كتاب البادية، نسخة مرقونة بدون تاريخ

التصوف: المصادر والمسار التاريخي

إن الحديث عن العقيدة والتصوف في بلاد شنقيط يحوجنا إلى التذكير بالمسار التاريخي الذي سلكه كل من مباحث العقيدة والتجاهات الصوفية.

فقد بني الإسلام على أركان ثابتة كشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام رمضان، يضاف لها صحة الإيمان والإحسان في العبادات. وتفرع عن ذلك علم الفقه، وعلم العقيدة، والطريقة الصفية.

ومع تقدم الدولة الإسلامية في اتساعها، توسعت دائرة المعرفة مبتعدة عن التلقي الشفهي لتتطور ضمن ثقافة عالمة كونية، فظهرت مصطلحات جديدة مثل أهل الشريعة وأهل الحقيقة، والتصوف السني الذي عبر عنه القشيري في رسالته، وتصوف متعدد المصادر والممارسات. ﴿﴾

فعلى مستوى العقيدة فقد انشغل أهل الإسلام في البداية على عهد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والعهد الراشدي بالفتوحات، وكان إيمانهم لما دعاهم إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة الآية: 285)، وقوله تعالى من سورة آل عمران: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (7))، ويسلمون بما ورد في الحديث المشهور الوارد في معظم كتب السنة بروايات متعددة: ومنها رواية أبي داود في مسنده، الحديث 21: " .. عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ عَلَيْهِ ثَوْبَانِ أَبْيَضَانِ مُقَوَّمٌ حَسَنُ النَّحْوِ والنَّاحِيَةِ فَقَالَ: أَدْنُو مِنْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «ادْنُ» ثُمَّ قَالَ: أَدْنُو مِنْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «ادْنُ» فَلَمْ يَزَلْ يَدْنُو حَتَّى كَانَتْ رُكْبَتُهُ عِنْدَ رُكْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: أَسْأَلُكَ؟ قَالَ: «سَلْ» قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَحَجُّ الْبَيْتِ وَصَوْمُ رَمَضَانَ» قَالَ: فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَنَا مُسْلِمٌ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ» قَالَ لَهُ الرَّجُلُ: صَدَقْتَ، فَجَعَلْنَا نَعْجَبُ مِنْ قَوْلِهِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صَدَقْتَ كَأَنَّهُ أَعْلَمُ مِنْهُ ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ قَالَ: «الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» ، قَالَ: فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَنَا مُؤْمِنٌ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ» قَالَ: صَدَقْتَ".

ولكن ما إن وضعت الحرب أوزارها حتى ظهرت الطوائف الدينية والسياسية، وأقبل القوم على تدارس القرآن الكريم ، فثار الجدل وتشعب النقاش في أمور تفسيرية وعقدية متعددة، وتمحور الجدال حول الصفات الإلهية، ومرتكب الكبيرة، وهل الإنسان مخير أم مسير ..الخ.

وكانت كل طائفة تستظهر ببعض الآيات والأحاديث النبوية المؤيدة لمواقفها، والآيات والأحاديث في هذا السياق كثيرة: كقوله تعالى من سورة آل عمران: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (182)، وكقوله

تعالى من سورة الأنعام: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ (111) ، والأحاديث في ذلك كثيرة، كالحديث الذي أورده أبو داود في مسنده رقم 296: "قَالَ: سَمِعْتُ زَيْدَ بْنَ وَهْبٍ الْجُهَنِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ، يَقُولُ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: " إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ لَيُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحَ وَاللَّهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ – أَوْ إِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ – لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ – أَوْ إِنَّ أَحَدَكُمْ – لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا "، ومن ذلك الحديث الذي أورده البغوي في شرح السنة رقم 1302: "قَالَ: وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: " لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ فِي دَوِّيَّةٍ مُهْلِكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَقَامَ يَطْلُبُهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ حَتَّى أَمُوتَ.

قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَنَامَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَاللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ "، وكذلك ما رواه مسلم في صحيحه من حديث طويل: " .. يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»، الحديث .55

وبعد ظهور المعتزلة وعلم الكلام وترجمة الفلسفة اليونانية انقسم القوم إلى أهل السنة وأصحاب الرأي، وبدأ التجاذب شديدا بين من يتمسك بالنص وبين من استأنس بالنظر العقلي في تقرير حقيقة القضايا العقدية وإقحام علم الكلام في تفسير هذا النص.

لقد كان العالم الإسلامي في بحر القرن الثالث الهجري فضاء عجيبا تتصادم فيه نحل وملل شتى ومذاهب متصارعة وتيارات متعددة المشارب، تتحاور فيه الحكمة الهندية والشريعة الإسلامية والفلسفة اليونانية بنسخها المختلفة. وفي خضم هذا التصادم والحوار المتعدد الأطراف الذي كان يعصف بكل شيء كان لا بد لكل مسلم أن يتخذ ما يشبه "بطاقة الهوية" التي تحدد مذهبه الفقهي (حسب المذهب الحنفي أو المالكي أو الشافعي أو الحنبلي)، وقوام عقيدته (السنية أو المعتزلية)، وطريقته في التصوف، وهو ما عبر عنه ابن عاشر في كتابه المرجعي في العقيدة والفقه عند المالكيين: "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين":

وبعد فالعون من الله المجيد في نظم أبيت للأمي تفيد

في عقد الأشعري وفقه مالك وفي طريقة الجنيد السالك ..

فكان لا بد من تحصيل معرفة متكاملة توفر لصاحبها تحصينا لعقيدته من الزيغ والانحراف، بإجابتها على المباحث العقدية الشائكة كالذات والصفات، والجبر والاختيار .. الخ، وتفقهه وترشده إلى ما هو ضروري لعباداته ومعاملاته.

وقد استقر الأمر على أخذ أهل السنة بالعقيدة الأشعرية[2] خصوصا في الغرب الإسلامي، ومنه البلاد الشنقيطية.

أما التصوف الذي نحت مصطلحه[3] من النسبة لأهل الصفة أو من الصوف الذي كان الرداء المفضل عند أهل التصوف ، تعبيرا عن استقالتهم من مباهج الحياة وزينتها والأخذ بالتقشف والزهد، أو أنه مشتق من الصفاء والمصافاة المتضمنة الإخلاص في المحبة الإلهية وعبادته فقد برزت تجلياته في وقت مبكر من فجر الإسلام، وله جذور واضحة في القرآن الكريم والسيرة النبوية وسلوك الصحابة، ويرمي إلى تحقيق مطلب الإحسان، ومن ذلك قوله تعالى: من سورة الكهف: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ (28: الآية)، ومن سورة الفرقان: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (الفرقان64)، ومن سورة الذاريات: كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (17) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (18) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (الذاريات 19).

و جاء في صحيح البخاري: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا،وقد كان بعض الصحاب يشدد على نفسه في العبادة كما ورد في المعجم الأوسط من حديث عبد الله بن عمرو: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّهُ قَالَ: لَأَصُومَنَّ مَا عِشْتُ، وَلَأَقُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عِشْتُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْتَ الَّذِي قُلْتَ: لَأَصُومَنَّ الدَّهْرَ مَا عِشْتُ، وَلَأَقُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عِشْتُ؟» فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: قَدْ قُلْتُ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صُمْ وَأَفْطِرْ، وَصَلِّ وَنَمْ، وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَكُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا» قَالَ: إِنِّي أَجِدُنِي أَقْوَى عَلَى أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ: «تَصُومُ يَوْمًا وَتُفْطِرُ يَوْمَيْنِ» ، فَقَالَ: إِنِّي أَجِدُنِي أَقْوَى عَلَى أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَصُومُ يَوْمًا وَتُفْطِرُ يَوْمًا» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَجِدُنِي أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ». وقد مثل أهل الصفة في عهده عليه الصلاة والسلام أول نموذج للتصوف في الإسلام.

فكانت هذه الآيات توجه بعض المؤمنين نحن التشدد في العبادة، والزهد في الحياة والانعزال عن الناس للتفرغ للعبادة. وكان للقوم زيهم الخاص ونظام المعيشة المتقشف وطريقة خاصة في العبادة والذكر، واشتهرت عنهم حكايات وأقوال وأشعار تقدم في مجموعها تعريفا للتصوف في بداية نشأته، وقد كان القوم يعرفون بأهل محبة الله وإمامتهم في ذلك رابعة العدوية، وهناك من يصفهم بالعباد والزهاد.

---

[2] الأشعرية نسبة لأبي الحسن الأشعري هي مدرسة إسلامية سنية [1] اتبع منهاجها في العقيدة عدد كبير من فقهاء أهل السنة والحديث، فدعمت اتجاههم العقدي. ومن كبار هؤلاء الأئمة :البيهقي والنووي والغزالي والعز بن عبد السلام والسيوطي وابن عساكر وابن حجر العسقلاني والقرطبي والسبكي[2].

[3] يمكن الرجوع في لفظ الصوفية لغة واصطلاحا إلى: أبي الاسم القشيري: الرسالة، و**ابن تيمية**: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، والغزالي: إحياء علوم الدين، وعبد القادر عيسى: حقائق عن التصوف، وأحمد زروق: قواعد التصوف، و أحمد بن عجيبة الحسني: معراج التشوف إلى حقائق التصوف.

واشتهر في ذلك جماعة حاول كل واحد منهم أن يحدد مذهبه في الزهد عبر قول يوجز فيه تعريفه الخاص، كسفيان الثوري[4] : الزهد في الدنيا قصر الأمل، وابن المبارك[5]: الزهد هو الثقة بالله مع حب الفقر، وأبو سليمان الداراني[6] : الزهد ترك ما يشغل عن الله، والجنيد[7]: الزهد هو استصغار الدنيا، ومحو آثارها من القلب.

بدأ التصوف بممارسة عفوية قوامها الزهد في الدنيا والصرامة في التقشف من أجل التفرغ للتعبد والذكر، لكن سرعان ما تسربت إليه بعض المفاهيم والاعتقادات الغريبة المتصادمة مع العقيدة الإسلامية والتصوف السني، كالقول بالحلول والوصول إلى مقامات يزعم فيها المتصوف أنه لم يعد فيها بحاجة إلى الالتزام بممارسة شعائر الإسلام من صلاة وحج وصوم، لأنه يمارس ذلك بشكل دائم في سلوكه اليومي، وأن هذه الشعائر وضعت للمقلدين والمتكاسلين في سلوكهم الديني. ومن سار في هذا المسلك أبو عبد الله الحلاج[8]، صاحب القولة المشهورة: "ما في جبتي إلا الله"، وقد دفع حياته ثمنا لهذه الاعتقادات المتطرفة. وابن عربي الأندلسي[9] الذي استقبل جموع المصلين في الجامع الأموي بدمشق وقد ناهز الثمانين بقوله: " ما تعبدون تحت قدمي هذه"، وفهموا كلامه على ظاهره فقتلوه.

كما أن التصوف الإسلامي انتقل من الممارسة العفوية إلى طريقة مقننة، ليتحول من الثقافة الشعبية إلى ثقافة عالمة، على يد أبي حامد الغزالي في كتابه: "إحياء علوم الدين"، و"فصوص الحكمة" لابن عربي، فظهرت مفاهيم جديدة كالشيخ والمريد والمقامات، وهو ما أدى إلى ولادة تجمعات صوفية على شكل زوايا مستقلة وطرق صوفية بالغة التنظيم، يتم تداول إمامة مشيختها بالوراثة، وتعبر عن وجودها وتلتحم بقاعدتها عن طريق إقامة حلقات للذكر دورية.

ولعل المنعطف الأبرز في مسار تطور التصوف الإسلامي هو التحول المتعاقب لمقاصد أصحابها و تفاعلهم مع مستجدات الفكر العباسي ومشمولات الدولة الإسلامية بعد اتساع رقعتها الجغرافية، فقد انزاحت مقاصد أصحابها من تحقيق أعلى درجات العبادة وتفريغ القلب لمحبة الله مع جيلها الأول إلى هدف غنوصي، الوصول إلى

---

[4] أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الربابي التميمي من بني تميم ولد في عام(97هـ – 161هـ) كان أحد أئمة الإسلام يقول عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء» هو شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه أبو عبد الله الثوري الكوفي المجتهد مصنف كتاب الجامع.

[5] عبد الله بن المبارك المروزي (118هـ–181 هـ) عالم وإمام مجاهد مجتهد في شتى العلوم الدينية والدنيوية.

[6] أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية الداراني، (140هـ – 215هـ) أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري.

[7] أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزاز القواريري، (221هـ – 297هـ) أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري.

[8] أبو عبد الله حسين بن منصور الحلاج(858 – 922م) (244 هـ – 309 هـ) من أعلام التصوف، من أهل البيضاء وهي بلدة بفارس، نشأ بواسط والعراق، وصحب أبا القاسم الجنيد وغيره، اشتط في أقواله، مما عرضه للاتهام بالردة وإقامة حد القتل عليه.

[9] محي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي سلطان العارفين والبحر الزاخر ، أحد أشهر المتصوفين لقبه أتباعه وغيرهم من الصوفية" بالشيخ الأكبر" ولذا ينسب إليه الطريقة الأكبرية الصوفية .ولد في مرسية في الأندلس عام 558 هـ الموافق 1164م، وتوفي في دمشق عام 638هـ الموافق 1240م.

المعرفة اليقينية عن طريق التجلي والكشف حسب تجربة أبي حامد الغزالي في بحثه عن الحقيقة، وذلك ربما نتج بعد تسرب الفلسفة اليونانية بنسختها الأفلوطينية المحدثة إلى الفكر الصوفي.

وهكذا تعايشت في ساحة الفكر الإسلامي جدلية ثالوث أهل الشريعة (أهل السنة/النص/ النقل)، أهل الحقيقة (الفلاسفة/العقل)، أهل الذوق (الصوفية/المجاهدة/الكشف). واستمدوا من متصوفة الهنود طريقتهم في الذكر والسماع والتقشف في تخليص النفس من الارتباط بعالم الحياة.

ومهما يكن، فإن هذا التناظر بين العالم السني والفيلسوف والشيخ الصوفي أوجد محور احتكاك عقدي بين أهل السنة من جهة، وأهل الحقيقة والذوق من جهة أخرى، وجدل حول طرق الوصول للحقيقة اليقينية، والتأويل بالظاهر وبالباطن لآيات القرآن الكريم.

الطرق الصوفية

وقد انقسمت الصوفية إلى طرق واتجاهات ليس بإمكان هذا البحث التطرق إلى تفاصيلها، نحتفظ منها ببعض الطرق نظرا لانتشارها وتقاطعها مع أهداف هذا البحث، مثل القادرية[10] والشاذلية[11] والتيجانية[12]. ولعله يمكن القول إن كل شيخ متبحر في العلم الشرعي يمكنه أن يؤسس طريقته الخاصة به وستنسب إليه.

تشترك كل الطرق الصوفية في أفكار ومعتقدات واحدة، وإن كانت تختلف في أسلوب سلوك المريد أو السالك وطرق تربيته، ونستطيع أن نُجمِل أفكار الطريقة الشاذلية في نقاط محددة، مع العلم أن هذه النقاط كما سنرى قد تفسر لدى الصوفية غير التفسير المعهود لدى عامة العلماء والفقهاء، وهذه النقاط هي:

- التوبة: وهي نقطة انطلاق المريد أو السالك إلى الله.
- الإخلاص: وينقسم لديها إلى قسمين
  - إخلاص الصادقين.
  - إخلاص الصِّدِّيقين.
- النية: وتعد أساس الأعمال والأخلاق والعبادات.

---

[10] القادرية، أحد الطرق الصوفية السنية والتي تنتسب إلى عبد القادر الجيلاني 471) هـ – 561 هـ)، وينتشر أتباعها في بلاد الشام والعراق ومصر وشرق أفريقيا .وقد كان لرجالها الأثر الكبير في نشر الإسلام في قارة أفريقيا وآسيا، وفي الوقوف في وجه المد الأوروبي الزاحف إلى المغرب العربي.

[11] طريقة صوفية تنسب إلى أبي الحسن الشاذلي يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية، وإن كانت تختلف عنها في سلوك المريد وطريقة تربيته بالإضافة إلى اشتهارهم بالذكر المفرد "الله" أو مضمرًا "هو."

[12] التيجانية، إحدى الطرق الصوفية السنية، تنتسب إلى أبي العباس أحمد التيجاني واسمه الكامل أحمد بن محمد بن المختار بن سالم التيجاني (1737–1815)م المتوفى في 1230 هـ، وقد بدأت هذه الطريقة في بلدة بو سمغون بولاية البيض بالجزائر غير بعيد عن مسقط رأس مؤسسها عين ماضي بولاية الأغواط التي أجبر على مغادرتها بعد مداهمتها من قبل قوات باي وهران الباي عثمان سنة 1787م وصار لها أتباع في المغرب و الجزائر وتونس ومصر وفلسطين والشام والسودان) دارفور(وموريتانيا والسنغال ونيجيريا.

- الخلوة: أي اعتزال الناس، فهذا من أسس التربية الصوفية. وفي الطريقة الشاذلية يدخل المريد الخلوة لمدة ثلاثة أيام قبل سلوك الطريق.
- الذكر: والأصل فيه ذكر الله، ثم الأوراد، وقراءة الأحزاب المختلفة في الليل والنهار. والذكر المشهور لدى الشاذلية هو ذكر الاسم المفرد لله أو مضمرًا (هو هو .(
- الورع: وهو العمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الكامنة.
- التوكل: وهو صرف القلب عن كل شيء إلا الله.
- الرضى: وهو رضى الله عن العبد.
- المحبة: وهي في تعريفهم: سفر القلب في طلب المحبوب، ولهج اللسان بذكره على الدوام.وللحب .
- الذوق: ويعرِّفونه بأنه تلقي الأرواح للأسرار الطاهرة في الكرامات وخوارق العادات، ويعدونه طريق الإيمان بالله والقرب منه والعبودية له .لذلك يفضل الصوفية العلوم التي تأتي عن طريق الذوق على العلوم الشرعية من الفقه والأصول وغير ذلك، إذ يقولون: علم الأذواق لا علم الأوراق، ويقولون :إن علم الأحوال يتم عن طريق الذوق، ويتفرع منه علوم الوجد والعشق والشوق.
- علم اليقين: وهو معرفة الله معرفة يقينية، ولا يحصل هذا إلا عن طريق الذوق، أو العلم اللدني أو الكشف..إلخ.
- السماع: وهو سماع الأناشيد والأشعار والرقائق الصوفية.

تنهض بنية الزاوية الصوفية على ثلاثة عناصر رئيسة:

- الشيخ: وهو الذي يشرف على تربية المريدين، وينبغي أن يكون متضلعا في علوم الشريعة وعارفا بالطرق الصوفية في التربية والتوجيه، ينظر إلى الشيخ باعتباره عالما مجتهدا ورجلا صالحا مستجاب الدعاء، متمتعا بمقام الولي بالتجربة أو بمنزلة مباركة موروثة عن أجداده الصالحين؛
- المريد: يضع نفسه طواعية في خدمة الشيخ، وينخرط بالكلية في الولاء له والوقوف عند أوامره ونواهيه. وينقسم المريدون إلى أتباع لا يهتمون كثيرا بتحصيل العلم، وإنما يقومون على تأسيس موارد الزاوية الاقتصادية لتلبية حاجاتها المختلفة: فيكلفون بتربية المواشي وفلاحة الأرض وتنظيم قوافل التموين. وهؤلاء تتوارث الزاوية ولاءهم ويعتبرون أنفسهم مشمولين بالحماية الروحية من لدن الشيخ وعقبه.

وهناك طلاب العلم الذي ينتظرون تصدير الشيخ والحصول منه على إجازة تمكنهم من تأسيس زواياهم الخاصة، وربما شاركوا في خدمة أنشطة الرعي والخدمة المباشرة في حاضرة الشيخ؛

- الورد: وهو الذكر الذي يطلب من المريد ترديده وقراءته، وهو خاص من حيث صدوره عن شيخ الزاوية وعام من حيث ارتباطه بالطريقة الصوفية التي ينتمي لها الشيخ.

ويمكن القول إن المنهج الصوفي المشترك بين شيوخ الزوايا والذي يربون عليه طلابهم يقوم على الانقطاع لله

والزهد في الدنيا والاستغراق في العبادة، وشدة الورع والتشبه بأهل الفضل والصلاح.

يتم تكوين المريد وفق محتوى متعدد المصادر، فهناك التاريخ المتعلق برجال التصوف وكراماتهم ومواجدهم وأقوالهم، وهناك إحاطة بآداب التصوف والإلمام بالعبادات والأذكار الموصلة إلى المقامات السلوكية والذوقية الخاصة بأهل التصوف.

و المؤلفات القديمة المرجعية في علم التصوف وتاريخه الموظفة في تربية المريدين يصعب حصرها، نذكر منها كتاب التشوف إلى رجال التصوف لأبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي، والرسالة القشيرية في علم التصوف، التي تعتبر مصدرا مهما للتصوف السني في الغرب الإسلامي، وقواعد التصوف لأحمد زروق، وطبقات الأولياء لابن الملقن، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني، وطبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي، يضاف إلى ذلك ما ورد في المؤلفات الفقهية كالقوانين الفقهية لابن جزي، والمدخل لابن الحاج الفاسي، ويحتل كتاب المرشد المعين لعبد الواحد بن عاشر موقع الصدارة عند المغاربة خصوصا الشناقطة.

وكخلاصة لكل ما تقدم، فقد تسرب كل هذا الموروث الصوفي إلى الشناقطة، فكانت كل محظرة تتوكأ على طريقة صوفية تضع عليها بصماتها المحلية، يضيف لها شيخ المحظرة أو ينقص تعبيرا عن مكانته العلمية وأبوته الروحية لمريديه وطلابه.

التصوف في الغرب الإسلامي

إن الحديث عن التصوف في القطر الشنقيطي يتطلب منا الحديث عن التصوف في بلاد الأندلس والمغرب العربي باعتبارهما الحاضنة المباشرة لنشأة الثقافة الشنقيطية بتشعباتها ومصادرها المختلفة. خصوصا أن الإقليم المغاربي كان في الماضي يشكل فضاء مترابطا ومفتوحا أمام الهجرات المتعاقبة في كل الاتجاهات.

لقد قدم الخطاب الصوفي في وقت مبكر إلى الغرب الإسلامي (شمال افريقيا، الأندلس وجنوب الصحراء) بكل مذاهبه وطرقه، فاستوطنها بسرعة وأنجب العديد من الطرق الصوفية كالشاذلية والأكبرية (ابن عربي) والجزولية والتيجانية، وكانت كل طريقة تخضع لاجقا لاتجاهات مختلفة، ولعل قارئ تاريخ التصوف في الغرب الإسلامي سيشد انتباهه أن الطريقة الصوفية تتأسس في البداية على يد شخصية نابغة في علوم الشرع والثقافة الإسلامية بموسوعية متميزة تجذب إليه طلاب العلم من كل جدب وصوب، فيشتهر أمره في كل الآفاق، يضاف إلى ذلك زاوية/محظرة أو رباط تتشكل فيها نواة الطريقة، ومن ثم يتم بثها في أماكن متعددة، كما تحتاج لضريح يتم عبره حفظ ذكرى الشيخ وتأبيدها في الذاكرة الجمعية بكل هوامشها الأسطورية والحقيقية.

التصوف في بلاد شنقيط

يمكن القول إجمالا إن هذا المسار التاريخي لولادته الظاهرة الصوفية وانتشارها في بلاد الغرب الإسلامي قد حدث ما يماثله في بلاد شنقيط. وذلك راجع إلى أن الإقليم الشنقيطي ينتمي لما يمكن تسميته بالكتلة المغاربية التي تبلورت شخصيتها نهائيا في نهاية القرن الثامن الهجري على المستوى الديني والثقافي والعلمي، فقد انتظمها

المذهب المالكي، والعقيدة الأشعرية ومقرأ ورش، وإلى حد ما تصوف قائم على التحالف بين أقانيم سبق ذكرها، وهي الشيخ الولي والطريقة التعبدية والضريح الرمز. وقد بدا هذا الإقليم مجسدا لهذه الشخصية عبر ظاهرة المحظرة الشنقيطية التي هي نقطة التقاء بين الرباط العلمي والزاوية الصوفية.

نشأة الزاوية/المحظرة الشنقيطية[13]

يغلب على بلاد شنقيط الطابع الصحراوي والحياة البدوية التي هي في شبه ترحال دائم بحثا عن المراعي وتتبعا لتساقطات المطر، ويتوزع مجاله الاجتماعي إلى ثلاث فئات رئيسة: الزوايا الذين يقومون على خدمة الدين والتعلم ، وحسان الحاملين للسلاح الذائدين عن من يقيم في حوزتهم الأميرية، والرعاة الذين يوفرون للمجتمع مصادر العيش المعتمدة أساسا على تنمية المواشي.

وكانت مراكز التعلم محدودة، وما إن يظهر عالم ويشنشئ محظرته حتى يبدأ طلاب العلم يتوافدون إليه من كل حدب وصوب، ومنهم من يقيم مع الشيخ ومنهم من يعود إلى حيه ليؤسس محظرته/زاويته الخاصة. وقد اكتسب شيخ المحظرة مكانة عظيمة ونفوذا واسعا عند جميع فئات المجتمع، فقد احتمت به الجماعات الهشة ليصبحوا أتباعا له بتبعية تتوارثها الأجيال اللاحقة مقابل هدايا تشبه الإتاوة المستمرة.

يقوم الشيخ بأدوار متعددة، فهو معلم ومربي وزعيم سياسي، ويعقد الصلح بين القبائل، ويفتي في النوازل الطارئة، وبعضهم كان له دور محوري في التصدي لظاهرة المستعمر الفرنسي في البلاد الموريتانية. ومن أبرز العلماء المشايخ الذين تبوؤوا هذه المرتبة: الشيخ سيديا وحفيده باب، والشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل ، ولمرابط محمذفال بن متالي(ت: 1287هـ)، والشيخ محمد الأغظف بن حماه الله، والشيخ سعد أبيه بن الشيخ محمد فاضل.

لقد اعتنى الشناقطة بالتصوف تدريسا وسلوكا، لا يوجد عالم شنقيطي جليل وشيخ طريقة إلا وقد ترك بصماته على مختلف نواحي الثقافة الشنقيطية، وخلف وراءه إرثا ظل يشع من بعده في ربوع هذه البلاد ويلهم جماهير العلماء اللاحقين.

وتتوزع المحاظر والزوايا في مختلف أركان البلد خالقة شلالا من المعرفة ينهل منه الجميع وربما عبر حدود الإقليم إلى البلاد المجاورة مثل السينغال ومالي.

المكتبة الصوفية الموريتانية

فد يكون من المفيد في البداية تسجيل ملاحظة جوهرية تتعلق بندرة المراجع المتناولة للتصوف في بلاد شنقيط،

[13] يمكن الرجوع إلى – أحمد بن الأمين: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مرجع سابق؛
- النحوي، الخليل: بلاد شنقيط المنارة والرباط، مرجع سابق؛
- ابن أبي الصديق البرتلي الولاتي، الطالب محمد: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، مركز ننجيبويه 2010؛
- ابن الحسن، أحمد: الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر ...، ليبيا ط1 1995

فقد كانت الثقافة السائدة ثقافة شفاهية لانعدام وسائل التدوين وصعوبة الحفاظ عليها نظرا للطابع البدوي للمجتمع الصحراوي الذي يعيش في حالة ترحال مستمر، والكثير من المؤلفات في هذا المجال قد تعرض للضياع، والبعض الآخر لا يزال مخطوطات مطمورة في المكتبات الأهلية تنتظر من ينتشلها من النسيان ويعرف بها.

تتوزع المؤلفات الشنقيطية المتعلقة بالتصوف إلى أسفار تتقاسم مضامين متعددة، فمنها ما يتناول تاريخ التصوف وأعلامه، ومنها ما يدرسه كعلم ويسعى إلى التعريف به وبطرقه، وقد ظهر العديد من مؤلفات التصوف إثر سجال بين المتصوفة والمنكرين عليهم، ونذكر في هذا السياق بعض هذه المؤلفات:

- الطرائف والتلائد: للشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي؛
- إرشاد السالك إلى أقوم المسالك: لسيدي محمد بن الشيخ سيديا في الطريقة القادرية؛
- نعت البدايات وتوصيف النهايات للشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل،
- ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التيجانية: للشيخ عبيدة بن انبوجة العلوي التيشيتي (ت: 1284هـ) ، فصل فيه الحديث عن التيجانية (عن شيخها التيجاني وأورادها ومقاماتها، وطرقها في التربية ..الخ)؛

الطرق الصوفية في إقليم شنقيط

من الصعب رسم خارطة تاريخية وتفصيلية للطرق الصوفية في موريتانيا، وتتبع مسالكها داخل البلد نظرا لظهرة الهجرة المتبادلة بين طلاب المحاظر، فقد يتردد الكثير منهم على مشايخ عديدين، ومهما يكن، فقد ظهرت في أرض شنقيط طرق صوفية مشهورة تسربت إلى موريتانيا من فضائها المغاربي، تفرعت عنها طرق محلية متعددة، ومن أبرز هذه الطرق الصوفية:

1- القادرية[14]: نسبة للشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني المتوفى (561هـ/1157م) دخلت إلى بلاد شنقيط على يد سيدي أعمر[15] بن الشيخ سيدي أحمد البكاي الكنتي المتوفى (956هـ/1552م)، وانتشرت بعد ذلك في بلاد مالي وبلاد السينغال. وتنتمي القادرية الداخلة للغرب الإسلامي إلى فرع الطريقة القادرية الجبلانية نسبة إلى عبد الخالق محمد ين بن محمد الذي حمل لقب "جبلي ". وقد انقسمت في موريتانيا إلى زاويتين رئيستين، هما البكائية والفاضلية[16].

[14] هناك مصادر ومراجع كثيرة ترجمت له، ينظر في شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العباد تحقيق: عبد القادر الارناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت 1984م، ج6، ص: 330 – 336، والقادرية في موريتانيا، ص: 148، كما ترجم له أحد الشناقطة في منظومة سماها: "مرهم الدوي للمتداوي من كلوم جهله بالدوي، للعلامة: محمذن بن محنذ باب الملقب سيلوم، مركز نجيبويه لخدمة التراث ط1 2014م، 3/37 – 38

[15] ينظر في مجلة المناهل المغربية: شخي، أحمد: الطريقة البكائية الكنتية بالصحراء ودورها العلمي والصوفي، ج2، سمتمبر 2007، ص: 177

[16] ينظر في موسوعة ابن حامد، الحياة الثقافية، ص: 94

2- الشاذلية[17]: تأسست على يد بي الحسن الشاذلي :مغربي الأصل حيث ولد سنة 571 هـ، تفقه وتصوف في تونس، وسكن مدينة (شاذلة) ونسب إليها، سكن الإسكندرية، وتوفي بصحراء عيذاب أوائل ذي القعدة 656 هـ .دخلت إلى موريتانيا عن طريقي محمد الشنقيطي، احتصنتها بعض المحاظر الموريتاني على يد علماء كبار امثالمحمد بن الطالب عمر البرتلي المتوفى 1156هـ، ولمرابط محمذال بن متالي التندغي (ت: 1287هـ)، ومحمد الأغظف بن حماه الله الجعفري، وعلى يد هذا العالم امتزجت بالقادرية الفاضلية نسبة للشيخ محمد فاضل بن مامينا (ت: 1281هـ) لتتوزع إلى عدة مشايخ. ولا تزال هذه الطريقة لها حضور قوي في موريتانيا من خلال تأسيس رابطة لمنتسبيها.

تتميز هاتان الطريقتان القادرية والشاذلية بالاعتدال والمنحى الصوفي السني والاهتمام بتصدير الطلاب/المريدين في كل المعارف الشرعية واللغوية والذوقية، فكانوا بذلك علماء وشعراء وأشياخا صوفيين، وتعتقد أن المحبة لله والإخلاص وممارسة بعض العبادات والمداومة على تلاوة أذكار مخصوصة كفيلة بإيصال المريد إلى الله، وأنه لا حاجة للمجاهدة والمبالغة في التقشف، وإن كانت بعض مشيخاتها المتأخرة مالت من جديد إلى حياة التقشف ولبس الخشن من اللباس والاعتماد على الممارسة بدلا من وضع تحصيل العلم في أولوياتها، فصارت بذلك المشيخة زاوية بكل معنى الكلمة.

3- التيجانية[18]: تنتسب إلى أبي العباس أحمد التيجاني واسمه الكامل أحمد بن محمد بن المختار بن سالم التيجاني (1737-1815)م المتوفى في فاس سنة 1230 هـ، وقد بدأت هذه الطريقة في بلدة بو سمغون بولاية البيض بالجزائر، لها أتباع كثيرون في المغرب و الجزائر وتونس ومصر وفلسطين والشام والسودان وموريتانيا والسينغال ونيجيريا. لها مشيخات كثيرة في موريتانيا والسينغال ومالي. دخلت إلى موريتانيا عن طريق الشيخ محمد الحافظ بن المختار العلوي (ت: 1247هـ).

تتميز التيجانية بأنها آخر الطرق الصوفية دخولا إلى موريتانيا، وبأنها تبنت كل الممارسات الصوفية بما في ذلك السماع والمواجد الجماعية والولاء المطلق للشيخ، والأخذ بعبادة جديدة أسمتها بصلاة الفاتح أثارت الكثير من الجدل.

ولعله يمكن القول تكثيفا لما سبق عرضه عن التصوف في بلاد شنقيط أن شيوخ الزوايا الصوفية في هذا الإقليم كانوا علماء مالكيين على دراية واسعة بعلوم الشريعة ومتمتعين بموسوعية الثقافة العربية، ومارسوا التدريس والتأليف والفتوى، فضربت إليهم أكباد الإبل من كل أرض شنقيط وبلدان السودان المجاورة.

[17] هناك كتب كثيرة ترجمت لهذه الطريقة ومؤسسها، مثل شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العباد تحقيق: عبد القادر الارناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت 1984م، الخليل النحوي : بلاد شنقيط المنارة والرباط

[18] هناك أدبيات كثيرة تعرف بهذه الطريقة، نذكر منها: ابن السانح الرباطي، سيدي محمد العربي: بغية المستفيد لشرح منية المريد، ابن سيدينا بن العلوي، محمدي: نزهة المستمع واللافظ في مناقب الشيخ محمد الحافظ.

محاور الصدام بين العقيدة السنية والتصوف في شنقيط

تتعدد نقاط الصدام العقدي بين العلماء وأهل التصوف، على مستوى الأفعال والأقوال، وما ينسب للشيخ من الكرامات، فميزان العلاقة يتأرجح بين الغلو واستحداث أمور ليس لها سند في الأدلة الشرعية، وبين معتقدات تتعارض بشكل بدهي مع المسلمات الدينية، قد تدخل صاحبها في نظر أهل السنة في دائرة الردة والشرك وتستوجب إقامة الحد على صاحبها، كما توجد جوانب عديدة يتلاقى فيها علماء السنة مع مشايخ الصوفية تتعلق بالاجتهاد في العبادة وعدم الخضوع لزهرة الحياة الدنيا. ومن أبرز مسائل الخلاف بين الطرفين:

1- تهمة الشرك بالله:

تعتبر قضية التوحيد مسألة حساسة في الرسالات السماوية، فكانت شهادة "لا إله إلا الله" قاسما مشتركا ما بين هذه الديانات، وسمى كفار مكة بالمشركين لأنهم يؤمنون بالله من جهة، ويشركون به غيره من الأصنام من جهة أخرى، كما أخبر عنهم القرآن الكريم في قوله تعالى من سورة العنكبوت: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (الآية: 61)، ويقول تبارك وتعالى من سورة الزمر: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (الآية: 3)، فالتوحيد في الإسلام يقتضي أن تكون العبادة والدعاء والاستعانة خالصة لله تبارك وتعالى، وسورة الفاتحة التي يتعبد بها في كل صلاة توضح ذلك بشكل لا لبس فيه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7) ﴾.

وفي هذا السياق تتهم بعض الطرق الصوفية بالشرك والمغالاة في تقديس الشيخ، ولعل ذلك عائد إلى وجود بعض المريدين والأتباع الأميين المفتونين بشيخهم ، حيث يتم النظر إلى الشيخ وكأنه يتمتع بقدرات خارقة مطلقة، فهو قادر على أن يحقق كل طلبات وحاجات أتباعه، فيتوجهون إليه بالدعاء حيا وميتا، وعليه، يمكن استعراض بعض مظاهر الشرك في التصوف غير السني في الجوانب التالية:

2- التوسل:

يعتبر التوسل المعبر الرئيس إلى فتنة الشرك عند أهل التصوف حسب جماعة أهل السنة، لما فيه من الإعراض عن توحيد الخالق ونسبة القدرة المختصة بالله للمخلوق، والدعاء مخ العبادة وجوهره كما يقولون،: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر الآية: 60)، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة الآية: 186)".

ويعلق علماء السنة على توسل الصحابة بالعباس عم الرسول صلعم عام الرمادة لاستنزال المطرمن حديث أحمد في مسنده عن نَافِعٍ، قَالَ: خَرَجَ عُمَرُ عَامَ الرَّمَادَةِ بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَسْتَسْقِي بِهِ فَقَالَ: «جِئْنَاكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا، فَسُقُوا» إنما هو اتباع لسنة رسول الله صلعم في صلاة الاستسقاء. وإذا كان بعض المريدين المتنورين بإمكانهم ضبط مقاصدهم من التوسل فإن العامة يمارسون الدعاء على شاكلة المشركين، وهو أمر بالغ الخطورة

من زاوية العقيدة لقوله تعالى من سورة النساء: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (الآية: 48)،.

وأكثر ما يرد التوسل في الأشعار الصوفية، وفي هذا المساق يندرج توسل سيدي عبد الله بن أحمد دام (ت:1264هـ) بسلسلة أشياخه من القادرية:

... فلما رأيت الخرق طال اتساعه توسلت بالسادات أهل الفضائل

جعلت كمال الدين من هو بالغنى غني أمامي سيدي ذا الفواضل

ليشفع لي عند الخليفة سيدي محمد التيار مأوى النوازل ... [19]

3- تعظيم القبور

لقد جاء الإسلام لترسيخ عقيدة التوحيد ومحاربة كل مظاهر الشرك، فكانت كل آيات القرآن الكريم تحث على تخصيص الله تبارك وتعالى بالدعاء والاستغاثة والتوسل والتقرب إليه وطلب النعم منه دون غيره، وفي هذا السياق يندرج العديد من الآثار التي تحذر من الشرك بسبب تعظيم القبور كما ورد في القرآن الكريم حكاية عن قوم نوح: ﴿وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ (سورة نوح، الآيات: 71: 23 – 24)، قال عنهم ابن عباس وغيره: هؤلاء قوم صالحون كانوا في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم فعبدوهم. وجاء في السنن السبعة من حديث أبي الهياج الأسدي، قال لي علي بن أبي طالب: إني لأبعثك على ما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته. وفي لفظ: ولا صورة إلا طمستها، وذلك للحيلولة دون اتخاذها وسيلة للشرك وسببا للضلال. وفي الصحيحين عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم / قال قبل موته: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" يحذر ما فعلوا، قالت عائشة: ولولا ذلك لأبرز قبره، ولكن كره أن يتخذ مسجداً. كما أقدم عمر بن الخطاب على قطع شجرة بيعة الرضوان حين علم أن بعض الناس بدأ يعظمها ويتبرك بها.

لكن غلاة الشيعة خصوصا طائفة الاسماعيلية وبعض المصوفة انحرفوا عن هذا الهدى وعقيدة التوحيد إلى التقرب عن طريق زيارة قبر نبي أو ولي أو رجل صالح، وأول من فعل ذلك الشيعة الذين بنوا على قبور أئمتهم قبابا ومساجد وجعلوها مشاهد ومزارات يجنون من ورائها مكاسب عديدة ووسيلة للثراء والعيش، وتبعهم في ذلك بعض الصوفية، فجعلوا من شعائرهم زيارة القبور وبناء الأضرحة، فاتخذوا قبر معروف الكرخي وهو أحد رواد التصوف مكانا لزيارتهم، وقالوا قبر معروف ترياق مجرب.

وهكذا تعتبر ظاهرة تقديس القبور من الأمور المنتشرة في معظم بلدان العالم الإسلامي، وسمة مميزة بصفة خاصة للفضاء المغاربي. فصاحب القبر يتمتع بكل القوى الروحية والخوارق التي كان يتحلى بها وهو حي، فيتم النذر له، وتشد له الرحال من بعيد، وتمضى بحضرته العقود، وتطلب نجدته وبركاته في كل الأمور الدنيوية ..الخ، وهذا ما يجعل هذه القبور تتشارك الكثير من مظاهر الشرك مع الأصنام التي حاربها الرسول صلعم، ومن

[19] ولد أباه، محمد المختار: الشعر والشعراء في موريتانيا، الرباط 2003، ص: 405-409

ثم فقد كانت تتعارض بشكل صريح مع عقيدة السلفية السنية، الذي يرى علماؤها أن " التوسل بالأنبياء والصالحين بعد وفاتهم، بالتوجه إلى قبورهم وطلب قضاء الحاجات منهم ظناً أنهم يقضون هذه الحوائج، مما تنكره السلفية بشدة، ويرون أنه غير مشروع، وأنه مخالف لمقتضيات التوحيد وإخلاص العبادة لله"[20].

ويتضح من كل ما تقدم خطورة الشرك بسبب تقديس الأضرحة، والاعتقاد في قدرة أصحابها على قضاء حوائج زوارها والتوسل بهم والركون إليهم. وقد رأينا أن الكثير من شيوخ الزوايا تحولت قبورهم إلى محجة عند العامة والخاصة.

وتوجد في موريتانيا مقابر شهيرة يرتادها المستغيثون لقضاء طلباتهم من زواج وشفاء من المرض وزوال العقم والحظوة بمناصب عالية ..الخ، وحاديهم في ذلك قول شاعرهم:

وإن الذي يرجونك منك ميتا لفوق الذي يرجونه منك بالمحيى

ومن أشهرها: قبر الشيخ سيدي أحمد البكاي بن الشيخ سيدي محمد الكنتي بجبل ولاتة الغربي، ومقبرة نواعمرت جنوب نواكشوط حيث يوجد قبر لمرابط محمذفال بن متالي، وقبر الشيخ سعد أبيه ابن الشيخ محمد فاضل بالنمجاط على طريق نواكشوط – روصو الذي يحج إليه مريدوه في السينغال كل سنة وبأعداد كثيرة بمناسبة عيد الفطر.

وتوجد عدة زوايا في موريتانيا دفنوا شيوخهم في مساجدهم من باب التشبه برسول الله صلعم، مع أن رسول الله صلعم لم يدفن في المسجد وإنما دفن في بيت عائشة رضي الله عنها.

4- قضية الكرامات

لعل مسألة الكرامات[21] من أكثر قضايا التصوف إثارة للجدل والخلاف، ومسا بجوهر العقيدة الإسلامية، فقد حاول بعض المتصوفة المساواة بين مرتبة النبوة ومرتبة أشياخهم الذين وصفوهم بالأولياء.

ومن أجل هذا الربط استحدثوا مصطلحات خاصة لتصنيف الأولياء[22] إلى الأبدال، والأقطاب، والأوتاد، والعرفاء، والنجباء، والنقباء.

---

[20] وهو ما ناقشه باستفاضة ابن تيمية في رسالته: "قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة".

[21] يمكن الرجوع إلى المؤلفات التالية لمزيد من التعمق في الموضوع: رسائل في إثبات كرامات الأولياء لمجموعة من المؤلفين، إصدار دار الكتب العلمية 2020م، جامع كرامات الأولياء للنبهاني، منشورات دار الكتب العلمية، 2009، النجم الثاقب في بعض ما لليدالي من مناقب لابن عمر الغلاوي محمد النابغة، وطوالع السعود في حياة ومناقب أبي السعود لابن محمد الهادي عبد الله ....الخ

[22] رجعنا في هذا التصنيف إلى كتب أحمد النقشبندي الخالدي في التصوف وطرقه ومصطلحاته: جامع الأصول في الأولياء ودليل السالكين ومتممه كتاب جامع الأصول في الأولياء وأنواعهم، تحقيق أديب نصر الدين، مؤسسة الانتشار العلمي بيروت لبنان 1997، السيوطي، جلال الدين : الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال، وأبو بكر الكلاباذي: التعرف على مذهب أهل التصوف ..

فقد جعل الصوفيةُ الأولياءَ على مراتب، وذلك بحسب اجتهادهم في دقائق التقوى –وبحسب ما يعتبرونه توفيقًا من الله لهم–، وبذلك تفاوتت مراتبهم في مقامات الولاية، فليس كل المتقين على درجة واحدة. أما من حيث الدرجات، فيجعلون المراتب من الأفضل إلى الأدنى كالتالي:

- القطب الغوث، الذي به يغاث عباد الله وبواسطته تنزل الرحمة، اشتهر منهم أربعة: الإمام عبد القادر الجيلاني، والإمام أحمد الرفاعي والإمام أحمد البدوي والإمام إبراهيم الدسوقي؛
- ثم الإمامان، وهما كالوزيرين له.
- ثم الأربعة الأوتاد الحافظون لجهات الأرض.
- ثم السبعة النجباء والحافظون للأقاليم السبعة–.
- ثم الأربعون الأبدال الساعون في قضاء حوائج المسلمين؛
- ثم التسعة والتسعون الذين هو مظاهر أسماء الله.
- ثم الثلاثمائة والتسعون الأولياء الصالحون من المؤمنين.

ومن أجل ربط الولاية بالنبوة فقد اختار منظرو التصوف أربعة من هذه المراتب ووضعوهم في منازل خاصة لمقارنتها بمقامات النبوة وهم: العلماء، والأبدال والأوتاد والأقطاب حسب التصنيف التالي:

العلماء ـــخلافة ـــ النبوة

الأبدال ـــخلافة ـــ الرسالة

الأوتاد ـــخلافة ـــ الرسالة

الأقطاب ـــخلافة ـــ الاصطفاء

ومن ثم شرعوا في الحديث عن صفات وميزات كل طبقة، فجاؤوا في ذلك بالعجب العجاب، ونسبوا لأشياخهم من الكرامات والخوارق ما لم يحظ به نبي مرسل، ويضيق هذه البحث عن استعراض كل تلك الكرامات، فليرجع إليها في كتب اهل التصوف وسير أشياخهم.

فقد كانت قضية إلحاق مرتبة الشيخ بمقام النبوة هو الطريق لفتح الباب على مصراعيه أمام مزاعم بعض المتصوفة وهرطقتهم وتجديفهم، والذي تسبب في هلاك البعض منهم مثل الحلاج وابن عربي والسهروردي، ومن أقوالهم المنكرة قول الحلاج: " أنا من أهوى ومن أهوى أنا، ...نحن روحان حللنا بدنا فإذا أبصرتني أبصرته .."، ويقول الجيلي وهو من كبار مشايخ الصوفية المعاصرين (ت: 2017م) : " .. وإني رب الأنام وسيد جميع الورى اسم، وذاتي مسماه"، وفي مجال التطاول على مقام النبوة يقول ابن سبعين(ت: 1269م): "لقد حجر ابن آمنة واسعا حيث قال: لا نبي بعدي"، وهناك أقوال شنيعة كثيرة منسوبة لأبي يزيد البسطامي وغيره لا نريد التوسع فيها.

فلا غرو أن ادعى أصحاب هذه الأقوال الجريئة المجدفة خوارق وكرامات لا يحكمها ضابط عقلي ولا نقلي،

وشجعوا العامة على تداولها والمبالغة فيها.

وعادة ما ترتبط كرامات الشيخ بالحاجات الخاصة ببيئة الزاوية، من استنزال للمطر وتوفير للمواد الغذائية ودفعا لصولة الأعداء.

وتبدأ أسطورة كرامات الشيخ في التشكل شفهيا بعد وفاته على لسان العامة، فتصبح ككرة الثلج المتدحرجة، وقد تنسب نفس الكرامة لأولياء مختلفين، وسرعان ما تشق هذه الروايات الشعبية طريقها نحو كتب المتصوفة فيتم تدوينها كحقائق موثوق بها.

ومن ما جمعناه عن كرامات شيوخ الطرق في بلاد شنقيط، مع الإعراض عن تسمية أصحابها دفعا للحرج، أن بعض الشيوج قد حج على متن ذبابة، وأنه كان يقضي الليل في مكة ثم يعود إلى أهله في شنقيط قبل طلوع الفجر، وأن البعض منهم كان ينظر في اللوح المحفوظ، ويعلم أمورا لا تزال في عالم الغيب، وأن البعض الآخر كفى أهله البحث عن التموين بملء أحقابهم قمحا وشعيرا، أو جلب لهم المطر في سنوات القحط، وأن البعض كان يتصدى لجور أهل السلاح بجنوده من الجن أو عن طريق "التازوبيت"[23] ..الخ.

وإذا تأملنا موضوعات هذه الكرامات نجدها تدور في معظمها حول أمور كانت شحيحة أو عزيزة المنال في موريتانيا قديما كالحج والغذاء والماء والأمن.

ولا يخفى أن تداول مثل هذه الكرامات كان يرفع من مكانة الشيخ، بل تكاد تخلع عليه صفات الربوبية، وهو ما يفسد عقيدة العامة ويجعلهم يتعاطون سلوكا صريحا في شركه وضلاله، وينحرف بأهداف التصوف الرامية إلى الإخلاص لله تبارك وتعالى وتعظيمه وتوحيده.

الخلاصة

ومن ما تقدم يتضح أن التصوف كان في مستهله وسيلة للتقرب إلى الله تبارك وتعالى والتبتل لعبادته والمبالغة في مطلب الإحسان، لكنه انحرف عن جادة الصواب، وشابته البدع، وخالطته الفلسفة، واستغلته بعض الفرق الإسلامية لتحقيق مكاسب سياسية ومنفعية.

وجاءت ظاهرة الزوايا الصوفية بأضرحتها وما ينسب لبعض أشياخها من الخوارق لتزيد الأمر سوءا، إذ دفعت بالعامة وبعض المريدين إلى ما يشبه الشرك البواح، والإعراض عن العمل والكسب في التعلم والعبادة على نهج السنة والسلف الصالح، والتعويض عن ذلك بترداد الأوردة وخدمة الشيخ، والاستغاثة بالقبور، والقول بمسميات ما أنزل الله بها من سلطان من قطب ووتد، وإفساد الفطرة والعقل السليم بتداول كرامات تم اختلاقها لتعظيم مكانة الشيخ وبسط سلطانه الروحي والسياسي على العامة.

وهذا لا ينفي وجود طرق صوفية أكثر اعتدالا، جمعت بين العلم والعبادة، وظلت تمارس نشاطها الصوفي ضمن حدود الشرع ووفق المنهج الذي رسم معالمه القشيري في رسالته.

---

[23] التازوبيت كلمة باللغة البربرية تستخدمها اللهجة الحسانية في موريتانيا للإشارة إلى قدرة بعض الأشياخ وأحفادهم على إلحاق الأذى بمن يتحداهم أو يعتدي عليهم بوقوع مصيبة في نفسه أو أهله.

المصادر والمراجع:

أ- القرآن الكريم

ب- كتب السنن السبعة

1- ابن أبي الصديق البرتلي الولاتي، الطالب محمد: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، مركز ننجيبويه لخدمة المخطوطات 2010؛

2- ابن الحسن، أحمد: الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر ...، ليبيا ط1 1995

3- ابن السانح الرباطي، سيدي محمد العربي: بغية المستفيد لشرح منية المريد الرباط 2014م

4- ابن سيدينا بن العلوي، محمدي: نزهة المستمع واللافظ في مناقب الشيخ محمد الحافظ. مركز نجيبويه لخدمة المخطوطات 2012م

5- ابن عمر الغلاوي، محمد النابغة: النجم الثاقب في بعض ما لليدالي من مناقب، المعهد التربوي الوطني ب ت

6- ابن محمد الهادي عبد الله: طوالع السعود في حياة ومناقب أبي السعود... نشر الطريفة التيدانية في غرب افريقيا 1403هـ

7- ابن محنذ باب الملقب سيلوم، محمذن: مرهم الدوي للمتداوي من كلوم جهله بالدوي، ، مركز نجيبويه لخدمة التراث ط1 ، 2014م

8- السيوطي، جلال الدين: الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال، دمشق 2005

9- النبهاني، يوسف: جامع كرامات الأولياء ، منشورات دار الكتب العلمية، 2009

10- النقشبندي الخالدي، أحمد: جامع الأصول في الأولياء ودليل السالكين ومتممه كتاب جامع الأصول في الأولياء وأنواعهم، تحقيق أديب نصر الدين، مؤسسة الانتشار العلمي بيروت لبنان 1997

11- شخي، أحمد: الطريقة البكائية الكنتية بالصحراء ودورها العلمي والصوفي، مجلة المناهل المغربية ج2، سمتمبر 2007

12- ولد أباه، محمد المختار: الشعر والشعراء في موريتانيا، الرباط 2003، ص: 405-409